المترجم : ما له وما عليه ؟

بقلم : عمرو أحمد عمرو
اليونيدو

تطرق كثيرون، في حديث عابر، للترجمة، أهي علم أم فن أم ذوق ؟ وكيف نعرِّف صاحبها «المترجم» ؟ وما هي سماته، وكيف يفكر ؟ وتطرق قليلون إلى دور المترجم في نقل المعارف والعلوم وإثراء الثقافة أو انتقال الحضارة بين الشعوب.

حتى الآن، لا تزال الأبعاد الحقيقية لدور المترجم في الاثراء الثقافي، ولآفاقه الذهنية في حاجة للدراسة. فغالبية الناس لا تعرف متى يصير المثقف مترجما ؟ ولماذا وكيف ؟ من لا يعرف، يكاد يتصور أن بقدرة أي إنسان ألمَّ بلغة أجنبية واحدة أو أكثر غير لغة وطنه أن ينقل منها وإليها، أي هذا يكفي لأن يصير مترجما تحريريا أو مترجما فوريا. وفي الحقيقة، لا تزال الترجمة بشقيها مهمة شاقة ومعقدة، وليس صحيحا أنها مهنة من لا مهنة له. فقد غدت علما وفنا وذوقا وموهبة أيضا. وقد يكون لائقا أن أشير بسخرية إلى ما قاله «الدوس هكسلي» عندما سئل ذات مرة : كيف لشخص أن يصبح كاتبا ؟ فأجاب ساخرا أنه ينصح من يريد ذلك بشراء قلم وورق وزجاجة حبر. وليس الأمر بهذه السهولة، فالترجمة طريق محفوف بالعناء والمشقة، فهي ليست عملا يصنع عفوا، وما عثر شخص قط على كنز مخبوء فيه مفردات وعبارات اصطلاحية ومصطلحات من الترجمة ! فالترجمة هي حصاد سنين طويلة يقوم خلالها المترجم مع ذاكرته القوية وقدرته على التركيز، بإجادة اللغة التي سيترجم منها واللغة أو اللغات التي سينقل إليها، ومعرفة دقائق كل منها وقواعدها وانتقاء اللفظ وتجديده وتنميقه في عبارة إلى أن يتكون لديه الثراء اللفظي، وعليه أن يتضلع في المعارف والعلوم ويستبحر ويتعمق ويوغل في البحث ويمعن في التنقيب والتدقيق، ويستجلي غوامض الكلام والأفكار، ويستقرىء الدقائق ويجمع الأشتات ويحيط بالأصول والفروع، ليتكون له إدراك شامل وقدرة بارعة على الاستدارة حول الأشياء ليستخرج ما فيها من معان وتلميحات. وكل هذا جهد شخصي بحت، فكلما ازدادت حصيلته من المعارف، كان على الترجمة أقدر

وعلى الابداع أقرب. وهو دائما يعيش حاضره ويسير مع الزمن، فالمترجم مثل العدّاء في سباق المسافات الطويلة، عليه أن يواصل الجري حاملا في يده مشعل المعرفة والثقافة !

في الأغلب، لا يتجه المترجم إلى طريق الترجمة مدفوعا بالتماس الجاه أو الشهرة أو طمعا في المال. فالترجمة مهنة غير معطاءة. ويتجه المثقف راضيا بسبب ميول فكرية ثقافية واستعدادات فطرية وقدرات ذهنية على تعلم اللغات واكتساب المعلومات. ولا يتجه المثقف إلى الترجمة لارضاء نزوة أو لرياضة الفكر على شتى الموضوعات، ولا يتجه إليها أيضا مغلوبا على أمره. أهي إذن عملية تحقيق الذات الكامنة في الشخص تدفعه إلى عالم الترجمة ؟ لا، فالترجمة لا تعبر عن النفس، و لا تتيح للمرء أن يضع فيما من ذاته أو مشاعره، و لا تتيح للمترجم أن يكشف عن دخائل نفسه أو طواياه. فالشيء اللافت للنظر في وثائق الأمم المتحدة، مثلا، المترجم منها إلى اللغة العربية أو سائر اللغات الخمس الأخرى، أنها لا تفصح عن مترجمها، هل هو زيد أم عمرو ؟ يكاد من لا يعرف، يراها جميعها وكأنها عملة ضربت في دار واحدة لسك النقود.

وإنصافا للحق، إن هذه الترجمات تتصف بالتدقيق والتمحيص والتحقيق وسرعة المبادرة إلى مواجهة ما يستشكل، مع مراعاة الأصول المتفق عليها، والاتساق، أي عدم التضارب. في خارج الأمم المتحدة، يسعى من يترجم إلى وضع ما يروق له من ألفاظ وتعبيرات قد لا تروق لغيره، بل ربما تجانب الصواب. وفي دوائر الترجمة بمنظومة الأمم المتحدة وضعت أصول وقواعد يطلع عليها المترجم ويمارسها ويحذقها. فوقوع خطأ في كلمة أو حرف ربما يثير أزمة، كما حدث في قرار مجلس الأمن 242 الشهير. والعامل الفيصل في ذلك أن يظل نص ما محتفظا بمضمونه الكامل، معنىً وأسلوبا ولفظا عند ترجمته وإصداره باللغات الست (الأسبانية والانكليزية والروسية والصينية والعربية والفرنسية).

المترجم قديما

عبر العصور، كانت هناك ترجمة، ولكن لم تبرز إلى دائرة الضوء مهنة المترجم. وفي سوق الترجمة الرائج هذه الأيام، أضحت الترجمة الفورية والتحريريةفيها قاسما مشتركا في معظم الاجتماعات الدولية. وغدا الاهتمام كبيرا بالترجمة، فأصبحت في الجامعات في بعض الدول المتقدمة، علما قائما بذاته، يقوم على ما توصلت إليه علوم اللغويات الحديثة ودراسة الكلمات ودلالاتها ثم علوم الاتصال والحاسبات الالكترونية. وتؤدي الترجمة في كل بلد من بلدان العالم دورا هاما في نقل المعارف والعلوم والاتجاهات الفكرية والثقافية.

برزت أهمية المترجم الفوري والتحريري عبر التاريخ، في كل الحروب والمفاوضات بين دولتين ناطقتين بلغتين مختلفتين، وكان من بينهم الرسل الدبلوماسيون وحاملو الحقائب الدبلوماسية. وكان الناس يترجمون منذ عصر الفراعنة بدرجات متفاوتة حتى عصرنا هذا، وحجر رشيد يشهد على ذلك. والأكيد أن الترجمة الفورية والتحريرية ترجع إلى عصور موغلة في القدم. فقد وجدت ملحمة «جلجامش» السومرية مترجمة في عدة لغات أسيوية مجاورة للعرب. وكان للمترجمين دور كبير أيضا في التراث العربي، عندما ازدهرت في عهد المأمون والمنصور حركة الترجمة والنقل بعد أن أنشئت دار الحكمة. وكانت الترجمة تتم من اللغات اليونانية والسريانية والفارسية والهندية. وعلى سبيل المثال، قدم الخليفة المنصور للترجمة «مباحثات فلكية هندية ألفت سنة 425 قبل الميلاد». وكان حب العرب لعملية الترجمة عظيما.

فكانوا يسلكون كل السبل لاجتذاب العلماء والمترجمين إلى دار الحكمة، وهي المؤسسة التي أنشأها هارون الرشيد وتعهدها من بعده الخليفة المأمون، ولم تكن دار الحكمة خزانة للكتب فحسب بل كانت مؤسسة علمية، أشبه بالأكاديميات في وقتنا الحاضر، عني فيها بجمع الأصول والمراجع والنقل والترجمة والتأليف العلمي، وأعمال الرصد وتنمية العلم واجراءات البحوث، وكان بدار الحكمة قسم أشبه بمركز الوثائق المعروفة اليوم.

وقد تولى أمر دار الحكمة علماء كثيرون من ضمنهم يوحنا بن ماسويه وحنين بن اسحاق، وكانا طبيبين توليا رئاسة الترجمة.

المترجم الفوري

لا يمكن للشخص أن يصير مترجما فوريا، ما لم تتوافر فيه صفات مثل الذاكرة القوية والتدريب والخبرة الطويلة، مع رخامة الصوت ووضوح واتزان الالقاء واختيار الكلمات والعبارات المفيدة. والمترجم الفوري تتركز مهمته أثناء الاجتماع أو المناقشات، وتنتهي عندما ينفض الاجتماع أو المناقشة. وفي هذه المهمة العسيرة، على المترجم الفوري أن يكون حاضر البديهة، مراعيا للدقة والقدرة على استخدام المفردات والمعاني في التو واللحظة، وإلا جاءت ترجمته بلا ضابط ولا رابط. ويراعى في هذه المهمة المرهقة للأعصاب أن يستبدل المترجمون الفوريون على فترات ليست طويلة، قبل بلوغ درجة الاعياء والانهاك. وعليه أيضا أن يلاحق المتكلم عبارة عبارة أو حتى كلمة كلمة، وإذا تأخر تكون المشكلة، فعليه أن يسقط جملة أو يوجز القول دون الاخلال بالمعنى ليبدأ من جديد في مسايرة المتكلم. والترجمة الفورية أنواع ثلاثة : فورية آنية مع المتكلم ثم تتبعية وهي متابعة المتكلم بعد أن ينطق جملة ويسكت. وعلى المترجم في هذا النوع أن يكون يقظا قوي الذاكرة يحتفظ فيها بكل دقة بالتفاصيل أو الأرقام أو فقرات أو نصوص ربما لفترة غير قصيرة من الوقت. والنوع الثالث هو الترجمة لدى الاطلاع «At sight» وهي أن يطالع المترجم الفوري بعينه النص المطلوب ويقول بلسانه ما تجود به قريحته، دون الاستعانة بمعاجم أو مراجع، إلا ما ندر، وعليه أن يعطي ناتجا بأكبر ما يستطيع. وكثيرا ما يلاقي المترجم الفوري صعوبات، عند احتدام المناقشة، مثل ممارسة حق الرد، وعندما يتحدث المتكلم بلهجة تبعد عن النطق القياسي المعروف. وعندما يكون المتكلم مثلا بالاسبانية، من دول أمريكا اللاتينية، وينقل الكلام من الاسبانية إلى الفرنسية ومنها إلى الانكليزية أو العربية. وهنا يلاحظ أن اللغة الثالثة المنقول إليها بهذا الطريق «Relay» ربما تفقد درجة ليست قليلة من الدقة في المعنى والأسلوب ويصبح العبء على المترجم الفوري ثقيلا ! وفي كل هذه المواقف، على المترجم الفوري أن يكون هادىء الأعصاب رائق الذهن، لا تتداخل فيه موجات الارسال والاستقبال. ومحظور عليه أن يبوح بشيء مما يتناهى إلى سمعه أثناء الاجتماعات أو احتدام المناقشات. وعليه أن يتحلى بالحصافة واللباقة والحكمة، فزلة لسان قد تجر كثيرا من المشاكل ! وعليه أخيرا أن يلم بمواضيع الاجتماعات أو المؤتمرات الفنية حتى لا يضرب في المجهول.

المترجم التحريري

في الترجمة التحريرية، يمارسها المترجم بالقلم والورق أو آلة الاملاء، مستعينا بالمعاجم والمراجع ونشرات المصطلحات، في مختلف النصوص المكتوبة في المجالات العلمية، الفضائية، التكنولوجية، البحرية، الاقتصادية، القانونية، البيئية، والرسائل والتقارير والميزانية.. الخ. وقد يعمل المترجم التحريري تحت ضغوط بالغة ولاسيما أثناء انعقاد المؤتمرات وملاحقة

أفرقة الصياغة قبل اعتماد القرارات. ويطلب أحيانا ترجمة وثيقة ما في وقت قصير للغاية، وهنا يكون العبء ثقيلا على المترجم أو المراجع أو منسق الوثيقة. والمفاجآت كثيرة في تلك الأثناء، من إضافة تعديلات أو تصويبات أو إعادة صياغة !

والمترجم التحريري ليس حاملا لمفردات لغة المصدر الذي ينقل منها إلى لغته الأصلية، وإنما هو ذو بصيرة في علم الترجمة أو فنها تبيح له التعالم بأسرارها. ومع المران وسيلة الاتقان تتكون لديه الملكة والحس المرهف للغة والقدرة على التعبير عن فكره. ومن الوهم أن يظن أي شخص أن الفكر شيء واللغة شيء آخر. فالعلاقة بين الفكر واللغة قاطعة، الفكر ما يرد في الألفاظ ودلالتها كالمصباح وضوئه والوردة وعبيقها. وإذا كانت الفكرة مضطربة في رأس صاحبها جاءت عباراته بالدرجة نفسها من الاضطراب. وكثير ما يشوب الغموض التعبير بالألفاظ عن مضمون مشاعر الحب والرضا والكراهية أو المشاعر السامية. وقصدت بذلك أن أشير إلى دور المترجم في إثراء الفكر والثقافة، هو قطعا يختلف عن المؤلف وعن الشاعر.

المترجم... والمؤلف

يتساءل البعض عن موقف المترجم من حقوق الطبع والنشر، إذا أقدم على ترجمة مؤلف أو أحد كتب المعرفة. وفي عدة دول، يتلقى المترجم الذي يسمونه عندئذ بمؤلف العمل باللغة الأجنبية، عائدات مادية، وذلك لحماية الخلق الفني (الترجمة). بيد أن هذه القاعدة لا تنطبق على من يترجم لحساب شركات الترجمة التجارية التي تقوم بدور الوسيط ما بين العملاء والمترجم، وهي لا تقوم بأي عمل إبداعي أو فني. وفي غير هذا فإن المترجم هو «مؤلف» النسخة الجديدة باللغة الأجنبية. وينص قانون الولايات المتحدة على أن ترجمة أي عمل من المعارف العامة أو أي عمل يتمتع بحقوق الطبع والنشر يعتبر عند إصداره بموافقة صاحبه المتمتع بهذه الحقوق، عملا فنيا جديدا، يخضع لحق الطبع والنشر [1].

المترجم... والشاعر

الفرق كبير بين المترجم والشاعر ما لم يكن المترجم شاعرا. فالمترجم عند النقل والترجمة يسمي الأشياء بأسمائها ويصفها بصفات تمت لجوهرها دون رمز أو مجاز، أو استعارة ودون انفعال. هو لا ينفث في التعبير من روحه كما يحدث في النثر الفني والشعر التصويري أو الغنائي. ولا يعني بجيشان العاطفة أو بالمشابهات والمقارنات التي تفد على ذهن الكاتب أو الشاعر وخياله في أوقات التأمل والهدوء. ملكة الترجمة داخل ذهنه، لا ينتظر هبوط الالهام ولا ما يسمى بشيطان الشعر. الألفاظ عند المترجم تؤدي معاني محدودة وواضحة لها دلالات دقيقة دون إثارة أو تأثير من ذاته، ولا ضرورة لأن تتصف الألفاظ بالليونة أو القوة أو الشفافية أو العمق كما تجيء من خيال الشاعر.

المترجمون المحلفون (الرسميون)

في كثير من الدول، تقتضي الظروف، عند محاكمة أجانب أو عند الخصومة في تنازع القوانين استدعاء مترجمين محلفين. وهؤلاء لابد من توافر عناصر فيهم مثل الكفاءة والتحلي بقدر من اللياقة والحصافة وكتمان الأسرار وحماية الأفراد من إذاعة أمورهم الخاصة دون وجه حق. وبعد إتمام الترجمة الصحيحة الدقيقة على هؤلاء أن يوقعوا بالاسم والختم أحيانا على صحة الترجمة ودقتها وفقا للنصوص الأصلية. وهي تعد عندئذ ترجمة رسمية للأغراض القانونية.

---

(1) المصدر : U.S. Code, Sec. 7, Title 17

اختيار المترجم للوظيفة

تشترط بعض الدول والأمم المتحدة وسائر المنظمات الدولية ضرورة توافر متطلبات معينة لوظائف المترجمين التحريريين والفوريين، مثل الحصول على مؤهل جامعي عال أو ما يعادله، وإجادة لغتين غير اللغة الأصلية. وتشترط كذلك ضرورة توفر الخبرات العامة والخاصة التي تؤهل الشخص لأداء الوظيفة. وعادة يكون الامتحان تنافسيا ومكونا من عدة عناصر تبين تماما ما لدى الشخص من معرفة باللغات والمعلومات العامة. وفي المقابلة الشفوية يستكمل التحري عن بقية هذه الجوانب. وفي الولايات المتحدة الأمريكية، تشترط لجنة الخدمة المدنية توافر الشهادة الجامعية أو ما يعادلها وخبرة عامة وخبرة خاصة. وفي مجال الخبرة العامة لابد من توفر خبرة في ترجمة المراسلات غير الفنية (شهادات الزواج والمستندات القانونية والطبية)، والاعلانات أو المقالات في الصحف والمجلات غير الفنية، ثم الوثائق التجارية والقانونية، أما عن الخبرة الخاصة فتشمل ترجمة نصوص بها مصطلحات في ميادين الزراعة والطيران والهندسة والصناعات التعدينية والاذاعة اللاسلكية والقانون (التشريع، والدساتير والقضايا) والمعاهدات ووحدات توليد الطاقة.

تحسين أحوال المترجم

اعتمد المؤتمر العام لليونسكو في دورته التاسعة عشرة المعقودة في نيروبي في 22 تشرين الثاني (نوفمبر) 1986. التوصية بشأن الحماية القانونية للمترجمين والترجمات (الأعمال المترجمة) والوسائل العلمية لتحسين أحوال المترجمين.

وقد كانت هذه أول وثيقة تنشرها منظمة دولية لالقاء الضوء على مهنة المترجم ولاطلاع شعوب الدول جميعها على المشاكل الرئيسية لهذه المهنة. وقد لفتت الانتباه إلى ظروف تتطلب تحسينها سريعا، بما يخدم مهنة الترجمة ويخدم كذلك التفاهم الدولي، وانتشار الثقافة والتوسع في العلم والتقدم التقني والنمو الاقتصادي.

وقد جاء في ديباجة هذه التوصية ما يؤكد على ضرورة توفير الحماية القانونية للمترجم وللترجمة، حيث نصت على أن الترجمة تعزّز التفاهم بين الشعوب والتعاون بين الأمم بتيسير نشر الأعمال الأدبية والعلمية، بما في ذلك الأعمال التقنية، عبر الحدود اللغوية والتبادل في الأفكار. ونوّهت الديباجة أيضا بالدور الهام للغاية الذي يضطلع بأدائه المترجمون وأعمال الترجمة في عمليات التبادل الدولي في الثقافة والعلم وخاصة في الأعمال المكتوبة أو المترجمة إلى لغات أخرى أقل انتشارا. كما أن حماية المترجمين أمر لا غنى عنه لضمان الترجمة ذات النوعية بغية الاضطلاع بدورهم في خدمة الثقافة والانماء. ويعد اعتماد هذه التوصية الدولية لتحسين أحوال المترجمين في العالم أجمع معلما رئيسيا على الطريق الطويل الذي يسير فيه الاتحاد الدولي للمترجمين الذي سوف يبذل قصارى الجهد لبلوغ هذا الهدف.

ميثاق المترجم : حقوقه وواجباته

عقدت عدة مؤتمرات هامة منذ عام 1953 [2] تدور كلها حول مسائل تعنى بأحوال الترجمة والمترجم، والتعاون الدولي في ميدان وضع المصطلحات، والترجمة باعتبارها وسيلة للتفاهم بين الأمم والتعاون الثقافي الدولي، ومهمة المترجم اليوم والغد. وفي أحد هذه المؤتمرات السابقة التي تنظمها

(2) آخر هذه المؤتمرات حتى الآن عقد في فينا في الفترة من 17 إلى 23 آب / أغسطس 1984 وتناول موضوع : «المترجمون ووضعهم في المجتمع».

اليونسكو (منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة) والاتحاد الدولي للمترجمين (يضم الآن 40 منظمة)، أقر الميثاق الدولي للمترجم متضمنا حقوقه وواجباته والجمعيات والاتحادات التي ينتسب إليها.

جاء بالقسم الأول من الميثاق «إلتزامات عامة من قبل المترجم» أوجزها فيما يلي : إن الترجمة تقع مسؤوليتها على المترجم؛ يمتنع المترجم عن تأويل المعنى الوارد في نص بشكل لا يوافق هو عليه أو يتنافى مع واجبات المترجم؛ تكون الترجمة أمينة وأن يخلص في ترجمة المعنى المراد؛ وأن تتوفر للمترجم معرفة صحيحة باللغة المنقول عنها وأن يكون ضليعا باللغة المنقول إليها؛ وأن تتوفر للمترجم معرفة وافية عن موضوع الترجمة ويحجم عن أداء ترجمة تتجاوز اختصاصه؛ يمتنع المترجم عن المنافسة غير النزيهة فلا يقبل أجرا دون ما يحدده القانون واللوائح أو العرف، ولا يقبل العمل في ظروف مهينة له أو لمهنته؛ وعليه أن يحترم المصالح المشروعة للمستخدم فيراعي سرية ما يقع تحت يده من معلومات؛ وعلى المترجم «كمؤلف ثانوي» أن يقبل التزامات خاصة تجاه مؤلف العمل الأصلي، وعليه أن يحصل على إذن من مؤلف العمل الأصلي بترجمة هذا العمل.

وجاء بالقسم الثاني من الميثاق حقوق المترجم أوجزها فيما يلي : للمترجم أن يتمتع بجميع الحقوق السائدة في البلد الذي يمارس فيه الترجمة، فيما يتعلق بما يقوم به من ترجمات. وتحظى الترجمة بالحماية القانونية إذ أنها عملية خلق فكرية، وللمترجم حقوق الطبع والنشر مثل العمل الأصلي. ويتمتع طوال حياته بحق الاعتراف له بالتأليف في العمل المترجم فيذكر اسمه بوضوح، ويحق له أن يعارض أي تشويه أو تحريف لترجمته، ولا يحق للناشرين إدخال تغييرات على ترجمته دون إذن مسبق منه، كما يحق له أن يمنع استخدام ترجمته استخداما غير سليم. وله الحق أن يأذن لآخرين بالنشر أو العرض أو الاذاعة أو الاقتباس لترجمته. ويحق له التعويض عن الاستخدام العام لترجمته بالأجر الذي يحدده العقد أو القانون.

وفي القسم الثالث من الميثاق، الوضع الاقتصادي والاجتماعي للمترجم : وجاء به أن يكفل للمترجم شروط معيشية تمكنه من الاضطلاع بالمهمة المناطة به باقتدار وكرامة. وللمترجم نصيب في نجاح أعماله ويحق له تعويض مناسب، وينبغي أن تحظى مهنة الترجمة مثل غيرها من المهن، في كل بلد، بحماية مماثلة لحماية المهن الأخرى في ذلك البلد. وللمترجمين في كل بلد أن يحظوا بجميع المزايا المكفولة للعاملين المفكرين.

وفي القسم الرابع وردت جمعيات واتحادات المترجمين، ويحظى المترجمون بحق تكوين جمعيات أو اتحادات مهنية تقوم بحماية المصالح المعنوية والمادية للمترجمين، والعمل على تحسين مستويات الترجمة ومعالجة جميع المسائل التي تهم الترجمة. وعلى هذه الجمعيات أن تقيم صلات دائمة مع المنظمات الأخرى التي تستخدم الأعمال المترجمة لدراسة المشاكل المشتركة وإيجاد حلول لها. وعليها أن تراقب نوعية الأعمال المترجمة في بلد كل منها وتقيم اتصالات مع الأوساط الثقافية الأخرى. وعليها أيضا أن تقوم بالتحكيم وبدور الخبير في المنازعات الناشئة بين المترجمين ومستعملي الترجمات. ولهذه الجمعيات والاتحادات الحق في إسداء المشورة بشأن تدريب وتعيين المترجمين، وعليها أن تسعى لجمع المعلومات التي تهم المهنة من جميع المصادر ووضعها في متناول المترجمين.

أما القسم الأخير (الخامس) من الميثاق فيتناول المنظمات الوطنية والاتحاد الدولي للمترجمين، وجاء به أنه من المستصوب أن تقوم هذه الهيئات بتنسيق أنشطتها في منظمة وطنية واحدة، ويقترح أن يعمل المترجمون، في البلدان التي لا توجد بها منظمة

لهم، على توحيد صفوفهم لاقامة هيئة أو منظمة لهم. وعلى المنظمات الوطنية للمترجمين أن تنضم إلى الاتحاد الدولي للمترجمين. وعلى المترجمين أن ينضموا للمنظمات الوطنية بمحض إرادتهم. ويعمل الاتحاد الدولي للمترجمين على حماية الحقوق المادية والمعنوية للمترجمين على الصعيد الدولي. وتستمد الجمعيات الوطنية والاتحا الدولي للمترجمين قوتها اللازمة لمتابعة أهدافها المهنية، ومن شعور بالتضامن فيما بين المترجمين ومن كرامة الترجمة التي تسهم في إجراء تفاهم أفضل بين الأمم ونشر الثقافة في جميع أرجاء العالم.

أدوات المترجم

يحلو للبعض أن يصف أدوات المترجم، وهي في العادة أدوات مادية وأدوات فكرية. المادية منها تنقسم إلى أدوات لغوية وأخرى غير لغوية. تشمل الأدوات اللغوية : القواميس والمعاجم والمسارد ونشرات المصطلحات. وهنا يجدر بالذكر أن بعض المترجمين يشرع عند مصادفة نص علمي فني في استخدام معجم فني، فيلاقي صعوبات وعراقيل، منها عدم وجود المصطلحات الجديدة أو غموضها أو اقتصارها على المعاني المألوفة، أو عدم الاشارة إلى السياق الصحيح لها. وهنا يضرب أخماسا في أسداس أو يضرب في المجهول !

ويجدر بالذكر أيضا أن المعاجم تصنف في كثير من الأحيان بأنها أدق وأفيد إذا كانت بلغة واحدة، وتليها تلك التي تضم لغتين ثم تقل عن ذلك في الدقة المعاجم بأكثر من لغتين. عادة يكون المعجم الفني أو المسرد ذو اللغة الواحدة مؤلفه اختصاصيون أو لجان متخصصة، وبالتالي يكون حجة يعتد بها. ومن ناحية أخرى، يمكن القول أن هناك دائما فاصلا زمنيا ما بين جمع المادة المعجمية، أي المفردات وإصدارها. ومع انهمار آلاف من المفردات في شتى الميادين العلمية والتكنولوجية، لا يجدها المترجم مقيدة في المعاجم العادية الكبيرة. والمترجم مسؤول أولا وأخيرا أن يدون في كراسته الشخصية ما يلاقيه من مصطلحات جديدة حتى يرجع إليها وقت الحاجة.

ومن بين أدوات المترجم اللغوية أيضا مصادر المعلومات أو المراجع. وهي هامة لملافاة التضارب أو عدم الاتساق في ذكر بيانات أو حقائق. وأشهرها في عالم المعرفة دائرة المعارف البريطانية : Encyclopaedia Britannica، ثم دائرة معارف العلوم والتكنولوجيا ـــ ما كغرو هيل : MacGraw-Hill Encyclopedia of Science and Technology. وقراءة بعض الصحف والمجلات العلمية أمر تقتضيه الترجمة الدقيقة في مختلف المجالات. وثمة أدوات غير لغوية مس توفر المكان اللائق والمكتب المناسب وخوان الكتب، وآلة كاتبة وآلة الاملاء، فقد وجد أن المترجم يفقد نحو ربع الوقت في الكتابة بخط اليد أو بالضرب على الآلة الكاتبة، وهو في غنى عن ذلك، ولا يقل أهمية للمترجم توفر آلات النسخ والتصوير، ثم نظم التخزين والاسترجاع، وهو ما يتصل بعد ذلك بالترجمة الآلية.

ونأتي للأهم في هذه الأدوات الفكرية، وهو الذهن، ومعرفة اللغات ومدى اتقان أي منها. ويجدر بالذكر أنه ليست هناك حدود لقدرة الذاكرة البشرية على الاحتفاظ بالمعلومات. على بواباتها مكتوب : «هل من مزيد» ؟

وكلما امتلك المترجم قدرا أكبر من المعرفة والثروة اللفظية سهل عليه العمل في مواجهة المخزون المتزايد من المصطلحات الفنية والتكنولوجية.

المترجم والمفردات

ومن الأهمية أن تكون لدى المترجم ثروة

لفظية من مفردات اللغة التي يترجم منها وأكثر منها من مفردات اللغة المنقول إليها. والعلاقة وطيدة ما بين عدد المفردات والنجاح الشخصي والمهني والفكري.. ويحلو للبعض أن يعرف عدد ما يعرفونه من تلك الثروة اللفظية. باختبارات تقديرية وضعها لغويون متخصصون.

وقد أجرت جامعة كولومبيا الأمريكية دراسة كانت من نتائجها أن الثروة اللفظية لدى الطالب المتوسط بمعهد ألاباما للتكنولوجيا تقدر بحوالي 200 ألف كلمة. وغالبا ما يكون الاختلاف كبيرا بين ما نتصور أننا نحيط به علما من مفردات وبين ما نعرفه حق المعرفة !

ويحسن بالمترجم العربي أن يدرس دلالة الألفاظ بلغته العربية قبل أن يدرسها أيضا في اللغة التي ينقل منها. فمثلا يعمد إلى مجموعة من الألفاظ التي تنتمي إلى مجال واحد ثم يتوفر على دراستها ليتبين منها تلك التي نمت دلالتها وتلك التي انكمشت فيها تلك الدلالة أو اختفت بمرور الأيام.

وكثيرا ما أثار النقاد قديما وحديثا مشكلة اللفظ والمعنى وكان الجاحظ واحدا مما أثاروها. كان يرفع من شأن اللفظ، وكان في طليعة من عرفوا في أدبهم قيمة المعاني وطرائقها وأهميتها. وكان «أبو هلال العسكري» يقول أن من عرف لغة أجنبية غير لغته مكنته من التنويع في أفكاره ومعانيه. كما أنه يؤكد في موضع آخر أن اللفظ جسم وروحه المعنى. «وكما لا يمكن الفصل بين الجسم والروح، كذلك لا يمكن الفصل بين اللفظ والمعنى».

وعند اختيار اللفظة المترجمة يراعى الذوق العام والسهولة في النطق والخفة في الاستعمال، وعدم بعث الألفاظ الميتة من ظلام المعاجم العربية وركامها. فقد حدث أن ترجمت من قبل كلمات مثل Chauffeur بكلمة «الشواش» وكلمة Jar «بالحوجلة» و Gentleman بكلمة «البزيع» أي السيد الظريف، وكلمة Homesickness أو Nostalgie بكلمة «الابابة» بمعنى الحنين للوطن.. وكلها لم تجد تداولا، فقد ماتت عند ولادتها.

المترجم والعبارات الاصطلاحية :

نجاح المترجم في نقل المعاني من لغة أجنبية إلى لغته العربية يتوقف على معرفته بما يستعمله أهل تلك اللغة من التراكيب الصحيحة والعبارات الاصطلاحية التي يستعملها هؤلاء القوم في الكلام والكتابة. والأمثلة على ذلك ما يوجد في المعاجم وراء أي «قيد» عند تعدية الأفعال بالحروف مثل Take أو Run والمعاني كثيرة ومتباينة، ولا بد من معرفة مقابلها بالعربية بأسهل تركيب وأوضح عبارة.

والمترجم لابد أن يتمرن بل يتمرس على معرفة الفروق الأولية بين المعاني الحقيقية والمعاني المجازية، حتى يغرس في تلافيف ذاكرته ملكة إدراك المعاني الدقيقة التي تتضمنها المجازات، ويتقن التعرف على مدارج انحراف المعنى المجازي عن المعنى الحقيقي. والقدوة له في الأساليب التي جرى عليها البلغاء، وفي التنقل بالمعاني من الحقيقة إلى المجاز.

في الاشتقاق

وعند ترجمة المصطلح الأجنبي بكلمة عربية، المستصوب بذل كل جهد لترجمته بكلمة عربية يمكن أن يُشتق من جذورها عدد من المفردات بحيث تتكون لدى الناطقين بالضاد أسرة لفظية تيسر بناء النظام الاصطلاحي في اللغة وتيسر عملية التداول والاستخدام.

ومع كل الاتجاهات أو التيارات المتشابكة أو المتضادة وضحت عدة أساليب في نقل المصطلحات العلمية والتقنية الأجنبية إلى اللغة العربية، متعارف عليها ممن يحتم عملهم الاسراع بوضع

المصطلحات لمواجهة ضرورة أو متطلبات فورية. ومن هذه : الترجمة أي إيجاد مقابل عربي يحمل معنى المصطلح الأجنبي؛ نحت كلمات جديدة من عناصر عربية؛ إعطاء معنى جديد لكلمات موجودة فعلا، ثم الوضع، أي اختراع كلمة لم توجد من قبل. وفي كل ذلك، يتلافى التخرص والخبط ويحذر طرائق النسخ والسلخ والمسخ والمصالتة.

المترجم.. موسوعة صغرى

في فن الترجمة، رأى الرواد ضرورة التخصص أي أن يتملك المترجم مقومات التخصص في الموضوع والمعرفة بالموضوع المترجم، هذه «المعرفة» اشترطها الجاحظ، بل ومن ساروا على دربه. ورأى آخرون أن ظواهر تفسير العلوم مرتبطة ببعضها البعض بل هي تيسر، بطريق مباشر أو غير مباشر، تفهم المواضيع المختلفة. ورأى هؤلاء أن يكون المترجم «عصاميا» في المعرفة بعد نيله الدرجة العلمية من المعهد أو الجامعة؛ أي عليه أن يطور قدراته التفكيرية التي يتعين استخدامها في الترجمة. ويؤكد هؤلاء ما يذهبون إليه قائلين أنه فيما يتعلق بالترجمة، ربما تكون المعرفة القائمة على مجرد الهواية أكثر خطورة من الجهل المحدق. ومهما يقال من أفكار نظرية تؤيد ضرورة التخصص، فإن الضرورة العملية تجعل الحصول على معرفة أولية بعدد من العلوم والميادين التقنية أمرا ضروريا. والمعرفة العامة والمتخصصة يمكن اكتسابهما بالقراءة الواعية المتواصلة. فمثلا، أن يكون ملما بأبجدية عدد من اللغات ليتيسر له نطق وكتابة أسماء الأعلام ومعرفة الأسماء الجغرافية للمدن والبلدان وخاصة الأسماء القديمة المعروفة والصفات المشتقة منها أحيانا، وأمثلة ذلك بحر المانش The Channel عند الانكليز هو La manche عند الفرنسيين، وجزر فوكلاند The Falklands هي جزر Malvinas عند الاسبان. ولننغراد هي بتروغراد. وغير ذلك كثير من المدن الاسبانية ذات الأصل العربي.

ومن الضروري معرفة ألقاب التخاطب المختلفة وأسماء العلماء المخترعين التي أصبحت شائعة ومعروفة، ثم معرفة السوابق واللواحق والتواريخ والأرقام الرومانية والرتب العسكرية في الجيش والبحرية والطيران وفي الدول المختلفة، وعملات البلدان المختلفة ونماذج الحواشي وأساليب تصحيح التجارب الطباعية ومعادلة المقاييس والأوزان ومعرفة الأخطاء الشائعة لتجنبها ومعرفة الكلمات التي يساء استخدامها ثم معرفة المختصرات وأشق ما فيها معرفة ما تعنيه حيث لا تستخدم في اللغة العربية مختصرات إلا فيما ندر مثل اليونيسيف واليونسكو والأونكتاد واليونيدو. ولا يقف الأمر عند هذا الحد.

فهناك رموز يحددها السياق. وعلى المترجم أن يعرف ما هو المقصود بكل رمز أو حرف أو كلمة، وأن يدرك ما هو المستصوب والمعقول في فهم وترجمة الألفاظ أو مختصراتها.

المترجم.. إنسان عصره

يقال في الأمثال : «قتلت أرضٌ جاهِلَها»، أي إذا سلك الأرضَ من يعلمُها عرف كيف يتقي أخطارَها وغوائِلَها. ويقال أيضا «كل قومٍ أعلَمُ بصناعتِهم» وهذا معناه أن يعيش المترجم زمنه الحاضر، ينتقل إلى عجيج الحياة، فيعرف المشكلات القائمة بالفعل في عالم الترجمة، يستقرىء أطوارها ويتعرف أحوالها وطرائقها.

عليه أن يشحذ ذهنه للتعلم مهما بلغ من العمر، يسير ولا يتوقف، ولا يظل عقله حبيس قراءة محدودة أو فكر محدود. وهو جاد لا يدخر جهدا، ولا يعرف دعة، ولا يستوطىء راحة، هو متحفز يذلل

العقاب ويروض الصعاب، متوخيا النجاح. وعوامل نجاح المترجم أن يعرف ثم يعمل بما يعرف، دون أن يعتريه وهن ولا فتور. ومهما تتطور الحاسبات الالكترونية، فإنها ستكون مسخّرة أيضا لخدمة المترجم، تختصر له الوقت وتيسر له العمل. والمترجم لن يعفو عليه الزمن أبدا. وهو إنسان عصره، وسوف يظل سيد الموقف في عالم الترجمة.

○○○